مملكة ماري السورية (٢)

ماري في الألف الثالث قبل الميلاد

إنشاء مدينة ماري 2900 قبل الميلاد

د.بشار محمد خليف
باحث في تاريخ العالم العربي
دمشق — الجمهورية العربية السورية

Khleif200@hotmail.com

إنشاء/نشوء مدينة ماري 2900 ق.م

يحمل موضوع إنشاء مدينة ماري عدة اعتبارات تدخل في السياق الذهني والإبداعي المعماري لحضارة المشرق العربي القديم. وإن ركّزنا على كلمة إنشاء فلأن هذه المدينة أنشئت وفق تصور ومخطط مسبق ودقيق. ولعل هذا النمط المعماري المبكر يُعبّر عن خصوصية ذاتية تتصف بها حضارة هذا المشرق، كون أن التواصل الحضاري بين العصور عبّر عن نفسه في تراكم المنجز الحضاري كالسويات الأثرية، طبقة فوق طبقة وعصر إثر عصر.

فلو عدنا إلى حوالي 6500 قبل الميلاد، فلسوف نجد أنفسنا أمام قرية أنشئت في تل بقرص وفق مخطط عمراني مسبق، ثم ومع الألف الرابع قبل الميلاد سنجد أننا أمام نفس هذا المنحنى في إنشاء مدينة حبوبة الكبيرة الجنوبية. ومع مطلع الألف الثالث قبل الميلاد ستتجه ماري نحو إنشاء عمرانها وفق ذاك النمط مع المزيد من التعقيد في هذا المجال كون أننا أمام إنشاء منشأت مائية وملاحية تحتم آلية متطورة تخدم المدينة الجديدة.

إذن ماري لم تكن قرية تطورت إلى مدينة. والذي يبدو أن من سعى لإنشاء ماري سواء كان سلطة سياسية أو إدارية أو اجتماعية، كان يملك موقعاً على الفرات، وقريب من ماري، ما لبث هذا الأخير أن هُجر أو دُمر لسبب ما، مما آل إلى التفكير بإنشاء مدينة جديدة على الفرات الأوسط.

ويبدو أن تلك السلطة تعي أهمية إنشاء مدينة في موقع ماري وتملك خبرة بالمنطقة وأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية والملاحية، بمعنى أن إنشاء مدينة ماري يبدو وكأنه تعويض لفقدان صلة وصل مهمة في المكان والزمان بين جناحي المشرق الرافدي والشامي بما يعود بالفائدة على هذه المدينة.

الباحث مارجرون يشير في هذا المجال إلى أنه " ربما كان زمن وجود ماري حوالي 2900 قبل الميلاد، حيث اتخذت السلطة السياسية ضمن إطار تنظيم اقليمي واسع قراراً بتأسيس مدينة حديثة على الفرات الأوسط. وكان هدف بناء المدينة هو مراقبة الطريق التجاري المحوري الذي يتبع مسلك الفرات ". ويعتقد الباحث في مجال إنشاء هذه المدينة إلى وجود " مدينة قريبة إلى موقع ماري، هي التي قامت بتعمير ماري، ويعتقد أن موقع هذه المدينة يمكن أن يكون في تل الرمادي ".[1]

ويبدو من إنشاء ماري على نهر الفرات وبشكل يبعد عنها حوالي 2 كيلومتر ⊗، على أن الموقع الذي كان مُعّمراً في تل الرمادي كان بدوره قائماً على ضفة نهر الفرات، مما سبّب هلاكه بفعل الفيضانات وهذا ما نستنتجه من كون أن ماري حفلت بمنشأت مائية متطورة ربما لدرء الفيضانات ولاسيما في مجال السدود والأقنية وهذا حتماً عائد لتراكم خبرات سابقة.

ولعل إنشاء مدينة ماري في هذا الموقع على الفرات الأوسط، شكّل مزّية موفقة لجهة صلة وصل بين كلا جناحي المشرق العربي

⊗ موقع مدينة ماري في تل الحريري، ويبعد عن البوكمال حوالي 2 كيلومتراً. تم الكشف عنه عام 1933 عبر البعثة الفرنسية برئاسة أندره بارو. وتبلغ أبعاد التل 1000 × 600 م. عثر في الموقع على ما يزيد عن الـ 25 ألف لوح مسماري معظمها يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد. وما زال العمل مستمراً في موقع هذه المدينة إلى الآن وبرئاسة البروفسور جان كلود مارجرون.

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
بشار محمد خليف، مملكة ماري السورية: ماري في الألف الثالث قبل الميلاد.- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن؛ يونيو ٢٠١٠. ص ٤٢ — ٥١.

(www.historicalkan.co.nr)

وبذلك فقد أمكن للجناح الرافدي أن يطل على عالم المتوسط وبلاده ، في مقابل إطلال الجناح الشامي على العالم ما بعد الرافدي ولا سيما الايراني والهندي وشرق آسيا وعبر مواقع الخليج العربي أيضاً بما يعني أن الجانب الاقتصادي .التجاري كان حاضراً وبقوة في هذا الشأن.

وعلى هذا ، يمكننا أن نحدد انعكاس تأثير إنشاء ماري وفق الحياة الاقتصادية .التجارية في ذلك الحين ، فنجد:

أولاً: كان الجناح الرافدي وتبعاً لإشراطات وإمكانات البيئة الطبيعية ، يفتقد للأخشاب والحجارة ومواد أخرى ، وهذا ما أمكن تأمينه عبر موقع ماري الذي بدوره شكّل صلة وصل تجارية بين الداخل الشامي والرافدين. بالإضافة إلى قيام ماري بتأمين الجناح الشامي من حاجيات يفتقدها وتأتيه من الرافدين وما بعده.

ثانياً: إن منطقة الخابور الخصيبة وسهولها الزراعية الوفيرة تؤمن إمكانات حياة زراعية نشطة ومنتجة. وهذا ما سبّب اهتمام إدارة ماري وسلطتها بهذه المنطقة طيلة فترة فاعليتها في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد.

والجدير ذكره هنا ، هو أن المخطط الأصلي لماري على شكل دائرة كاملة تخترقها قناة متفرعة عن نهر الفرات حيث تؤمن جرّ المياه إلى المدينة وتسّهل وصول السفن إلى المرفأ. ويلحظ المدقق على أن بناء سور المدينة تمّ أولاً ثم شيّدت الأبنية داخله ، وكان التوسع العمراني يتجه من المركز إلى السور ، ومع ملاحظة أن السور يحيط بكافة جهات المدينة عدا الجهة المطلة على نهر الفرات. ويزيد قطر المدينة على 1.9 كيلومتر.

أما لجهة المنشآت المائية التي أنشئت بالتوازي مع إنشاء المدينة ، فهي تدل على تطور مذهل في التقنيات ومحاولات جديرة بالاهتمام في سياق التعامل مع البيئة الطبيعية وجعلها تخدم المجتمع لا أن تسبب هلاك المدينة والمجتمع.

وهذا ما تبدى جلياً في المنشآت المائية من أقنية وسدود من غايتها الحد من خطر الفيضانات ، إلى تأمين مياه الشفة للمدينة وصولاً إلى تأمين حركة ملاحية تأخذ بعين الاعتبار اختصار الطرق البرية عبر الملاحة المائية. يقول مارجرون في هذا المجال: " عُمّرت ماري وفق مخطط وتنظيم هادفين ، حيث يشهد على ذلك منشآتها المائية وآثار السور الذي يحيط بها. وإن منظر المدينة في الألف الثالث قبل الميلاد يدل على تفكير منطقي متجانس ، يمثل قوة الحضارة وتفتحها التي ظهرت في الألف الرابع قبل الميلاد ، وتوجت في بداية الألف الثالث عبر إنشاء هذه المدينة "[٢]

وقد بينت الأبحاث التي جرت على تجويف ماري ومنطقة التقاء نهر الخابور بالفرات ، على وجود شبكة من الأقنية. فثمة قناة مهمتها إيصال مياه الري إلى مصطبة واقعة على ضفة الفرات اليمنى بشكل يتأمن معه إنتاج الحبوب اللازمة لاستهلاك المملكة.

وثمة اعتقاد أن هذه القناة جرى ربطها بسدّ أقيم على وادي الصواب لتأمين المياه في نهاية فصل الشتاء. كما أبانت التقنيات عن وجود قناة أخرى تربط نهر الخابور بالفرات عند مستوى البوكمال ويتعدى طولها 120 كيلومتراً وكان وظيفة هذه القناة تأمين الملاحة وبالتالي تفعيل التبادل التجاري بين مناطق الشمال والشرق والغرب عبر ماري.

" كانت هذه القناة الضخمة التي تدمج الخابور بالفرات تحت ماري قائمة على الضفة اليسرى ولها مقياس ثابت هو 11متراً وبطول 120 كيلومتراً وأمكن التعرف عليها لأول مرة باسم نهر داورين ، وأن أسباب تشييد منشأة كهذه واضح في عصر كثيف النشاط ، فهي تختصر خط الرحلة من 160 إلى 120 كيلومتر. وتتيح إمكانية بقاء ما يكفي من المياه في القناة في فترات انخفاض المنسوب بمعنى أنها قناة ملاحية. وإلى الآن لم تعرف هذه الترتيبات إلا في المنطقة الواقعة بين الخابور وبلدة البوكمال ولكن يبدو أن آثار تشييدات لابأس بأبعادها ، قد تمّ اقتفاؤها باتجاه معاكس لتيار النهرين المجتمعين من قبل ب. جيير وج. ي. مونشابير ، وإذا ما ثبتت صحة هذه الملاحظات فلن يقتصر تكييف الوادي على القطاع من نقطة التقاء الخابور بالفرات وحتى ماري ، بل يمكن تصوره على نطاق واسع نوعاً ما ".[٣]

وفي مجال تأمين مياه الشرب للمدينة عمدت إدارة ماري إلى إنشاء قنوات تتصل بنهر الفرات ، وقد دّلت الكشوفات على وجود قنوات تخرج من وادي الصواب / حيث تجتمع مياه الأمطار / بحيث أقيمت سدود لحفظ المياه التي سوف تنتقل إلى ماري عبر هذه القنوات.

أيضاً ثمة تطور آخر تبدّى في تقنيات وسائل الري ومعالجة المياه ، وصلت إلى حدّ تمكنت إدارة ماري من خلاله أن تتحكم بالمساحات الطمبية التي كانت تشكّل تجويف ماري. ويشير الباحث أوليفيه روو إلى أن تم تصّور وجود مستوطنة كتلك التي في ماري البعيدة عن النهر ولكنها تتصل به بواسطة نظام قنوات مُعقد ما أدى إلى تحكّم صناعي وفعال بين النهر والمدينة.[٤]

وبنتيجة هذه الذهنية المتطورة في إنشاء المدن في ذلك الوقت المبكر ، فإن هذا أدى إلى ازدهار هام لمنطقة الفرات الأوسط ، بحيث أكدت الاكتشافات والأبحاث على أن وادي الفرات شهد في هذه الفترة تكثفاً للسكن ولا سيما في الجزء الجنوبي منه حول مدينة ماري. واستطاع الباحثان جيير ومونشابير من تحقيق وجود ما لا يقل عن عشرين موقعاً يبدو أنها كانت تدور في فلك مدينة ماري.

وتوصل الباحثان إلى تأكيد " أن صورة الفرات في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد ، أشبه بصورة عالم مكتنز بالخيرات ، وضع فيه علم الماء القديم كل إمكاناته لاستغلال جميع المساحات الزراعية المتوفرة أحسن استغلال ".[٥] ولعل أنظمة الإنشاء المائي هذه سواء كانت لأغراض ملاحية أو خدمية أو وقائية تُعبر تعبيراً قوياً عما استطاعت إدارة ماري في مطلع الألف الثالث القيام به لجهة التصالح مع نهر الفرات بحيث أدى إلى وضع ممكنات البيئة الطبيعية في خدمة المدينة والمجتمع. وبذا فإن علاقة ماري بالفرات كانت تشكّل علة وجودها "[٦]

الواقع الديمغرافي لماري في الألف الثالث قبل الميلاد

قبل أن نناقش معطيات الواقع الديمغرافي في ماري في الألف الثالث قبل الميلاد ، لابد لنا من أن نشير إلى خصيصة أساسية من خصائص الحضارة السورية عبر التاريخ ، عنيت بذلك خاصية الحيوية التي تجلّت في منحنيين:

أولهما: هو الحيوية المتبادلة في البيئة الطبيعية والوسط الطبيعي المحيط والتي أفرزت حالة من التنوع البيئي الطبيعي الذي انعكس حكماً على أحوال البيئة الاجتماعية من خلال التفاعل النشط بينهما سلباً أو ايجاباً.

وبناء على هذا فنحن نستطيع تحديد معالم الوسط الاجتماعي البدوي أو الرعوي والوسط الزراعي والمديني ، وهذا الواقع فرض إشراطاته على حركة تاريخ الاجتماع البشري المشرقي سواءاً لجهة التفاعل أو التضاد ، لكنه في المحصلة العامة كان يصب في قناة التطور العام الذي تبدى في جملة المنجزات الحضارية الإنسانية للمشرق العربي. وهذا ما نستطيع تتبع ايقاعه من خلال قراءة الرقم المسمارية لجهة الوقائع الحياتية أو لجهة الأساطير والمناظرات التي عبّرت عن أوجه هذا التفاعل في منحنييه السلبي والايجابي كما في ملحمة جلمامش أو المناظرة بين الراعي والمزارع وهكذا.

ثانيهما: وفق ما سبق لم يعد النظر إلى حركة الاجتماع البشري المشرقي على أنها حالة تفاعل فيزيائي بين كتل لا رابط بينها ، بل أصبحنا أمام حالة تفاعل بنيوي امتزاجي أكدته معطيات الآثار والوثائق الكتابية.

فكما استند المنجز الحضاري السومري على ما سبقه من منجز حضاري عبيدي ، فإننا الآن أمام حالة امتزاج سومري . أكادي . عموري على مدى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد. وهكذا تتمخض حركة الاجتماع المشرقي عن سلسلة حضارية . تاريخية متواصلة امتلكت أدوات التفاعل المادي . الروحي فيما بينها ، واستطاعت أن تؤسس من خلال تفاعلها مع البيئة الطبيعية والوسط المحيط لحياة جديرة بأن تعاش.

بناء على ذلك نستطيع مقاربة الواقع الديمغرافي في مدينة ماري انطلاقاً من هذه المفاهيم التي حاد عنها الاستشراق الغربي جهلاً أوتجاهلاً وإما لاظهار حالة قطيعة بين المشرق العربي اليوم ومشرق تلك العصور. وإذا كان الواقع الديمغرافي في الألف الرابع ولا سيما في منتصفه قد استمد ركائزه من الفاعلية المشرقية السومرية في الجناح الرافدي ، فإننا إزاء الجناح الشامي لا نلاحظ فعالية واضحة كما في الرافدين وعلى هذا يمكننا القول أنه مع الألف الثالث قبل الميلاد فإن الفاعلية الحضارية التاريخية في الجناح الغربي الشامي قامت بفضل الأكاديين والماريين / نسبة لماري / والإبلائيين / نسبة لإبلا / ، وطبعاً لا يمكن تتبع هذه الفاعلية بموضوعية إن لم نجد أساساتها في الفاعلية السومرية.

يقول الدكتور أبو عساف:" ساهم السومريون في صنع حضارة الجناح الشرقي للهلال الخصيب ولم يسهموا في حضارة بلاد الشام ، حيث قامت هذه بواسطة الماريين والإبلائيين والأكاديين "[٧]

وإن كانت الثقافة في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد في ماري تأخذ من الروحية السومرية في أوجهها كافة ، غير أن البيئة الديمغرافية حسب المعطيات الآثارية تشير إلى فاعلية أكادية . عمورية يبدو وأنها تأثرت بالثقافة السومرية.

وهذا ما دفع مكتشف ماري أندره بارو للقول: " إن ثقافة ماري سومرية تفتحت في وسط غير سومري "[٨] إذن نستطيع بناء على ذلك مقاربة العلاقات التفاعلية والامتزاجية في المنظور الاجتماعي بين مدن المشرق العربي بجناحيه حيث أن الأبحاث الرصينة تشير إلى علاقات وطيدة بين مواقع الجناحين في الفترة بين 2800 . 2350 ق.م ، في حين يؤكد الباحث مارك لوبو: " إن المبادلات الثقافية في الألف الثالث ق.م بين مدن المشرق العربي كانت أغزر وأقوى مما كان من الممكن تصوره حتى الآن ".[٩]

وهذا ما تؤكده المعطيات الأثرية في العلاقات الوطيدة بين مواقع كيش وأبو صلابيخ في الرافدين وماري وإبلا في بلاد الشام. كذلك تلك العلاقات الوطيدة أيضاً بين ماري وأوروك ولاجاش في الرافدين.[١٠] وتجمع " الدراسات حول الثقافة المادية للممتلكات القديمة في ماري منذ الثلث الأول للألف الثالث قبل الميلاد ، وأكثرها بوجه خاص الفخار ، وتقودنا إلى اعتبار ماري منذ فجر السلالات الثانية متصلة حصراً مع وادي ديالى في الرافدين ، وفي الواقع كانت ماري قد أسست في نهاية فترة فجر السلالات الأولى خط سير واضح يُعبّر عن العلاقة بين اشنونا / في الرافدين / وماري . بحيث أن هذا الخط يمر عبر عانه ويجتاز الطريق السفلي لوادي الثرثار. وقد أقامت هذه الطريق علاقات مباشرة بين مناطق كيبان ، كركميش ، ايمار ، توتول ، ماري ، عانه ، سيبار ، كيش.[١٠]

إذن نصل من هذا إلى استنتاج أن ماري ذات القاعدة الأكادية . العمورية ، كانت واقعة تحت تأثير الروحية الثقافية الرافدية ، وكان خط اتجاهها التفاعلي يتجه شرقاً إلى الرافدين ولا سيما في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد ، وهذا ما يمكن ملاحظته سواء لجهة الفخار أو المنحوتات التي عثر عليها والتي تحمل صفاتاً رافدية في الشكل والروحية.

وبناء على هذا يمكننا القول أن حركة التفاعل في هذه الفترة في ماري كانت ذات اتجاه رافدي أكثر من اتجاهها إلى العمق الغربي الشامي ، ويبدو أن هذا الأمر يتبع النشوء المبكر لماري كمدينة في بلاد الشام في ظل غياب فاعل لمدن كانت في طور التكوين كإبلا مثلاً ، أو ايمار التي لم تمتلك أدوات قوتها الذاتية مما أهلّها لتكون مدينة تابعة للفاعلية الأقوى سواء في ماري أو إبلا في النصف الثاني للألف الثالث. وهنا يعنينا التأكيد أن الواقع المديني في النصف الأول من الألف الثالث كان يشتمل على سلالات حكمت مدن ، أور ، أوروك ، لاجاش ، كيش ، أوما ، شورباك ، أدب ، ماري وغيرها ، وهذه كلها كانت سومرية فيما عدا سلالات مدينتي كيش الرافدية / بؤرة التواجد الأكادي / وماري ، حيث كانت أكادية وبؤرة التواجد والتجمع العموري.[١٢]

ويشير د. أبو عساف إلى أن مدن لاجاش وأوما وأور ، لم تشارك مباشرة في التفاعل مع مدن بلاد الشام آنذاك ، بل شاركت الأكاديين في صنع حضارة الجناح الرافدي.[١٣]

أما عن لغة سكان ماري في هذه الفترة فتبعاً للواقع الديمغرافي ، لابد أن نلحظ وجود عدة لهجات أو لغات ، حيث دلّت الأبحاث على أن سكان ماري كانوا يتكلمون السومرية والأكادية القديمة والحورية واللهجات العمورية ، وكان ملوك ماري في تلك الفترة يحملون أسماء عمورية.

ويشير ألفرد هالدار إلى أن السكان الذين يتكلمون اللغة السومرية كانوا موجودين في شمال سورية وفي ماري وتل الخويرة في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد على الأقل.[١٤] أما لجهة التواجد العموري في المشرق العربي فتؤكد الأبحاث التاريخية إلى أنه يعود إلى الثلث الأول من الألف الثالث قبل الميلاد ، حيث أنه أخذ بالتصاعد التدريجي وصولاً إلى تأسيسه للممالك العمورية الكنعانية مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد في مجمل مدن المشرق العربي آنذاك.

الجدير ذكره هو أن البؤرة الديمغرافية للتواجد العموري تقع في جبل بشري في البادية الشامية ، وشكّلت ماري عبر تاريخها بوابة العبور العموري إلى بلاد الرافدين. وإن كانت معالم التغلغل العموري في الألف الثالث أخذت بُعداً سلبياً في الأدبيات الرافدية السومرية حيث أشارت إلى العموريين على أنهم يأكلون اللحم النيء ، وكونهم رُحلاً وإلى ما هنالك ، من صراع بين النمط المديني والنمط الرعوي ، غير أن هذا الأمر أخذ بالأفول تبعاً لانضواء العموريين تحت جناح الحياة الزراعية والمدينية واسهامهم في دورة الحياة المدينية الواحدة.

والباحث مارك لوبو يشير إلى التعايش السومري العموري الذي سار جنباً إلى جنب وبسلام في ماري. ويؤكد أن التجار العموريين كانوا يتجولون في بلاد الرافدين وأكاد كما تجوّل التجار السومريون في ماري ، بالإضافة إلى توطن الكثير منهم في أماكن الآخر. وهذا ما يُعبّر عنه الفرد هالدار بقوله: "لما كانت التجارة تتيح إمكانية التبادل ليس فقط بين البضائع ، بل أيضاً بين الأشخاص ، فإن النتيجة أنه استوطن العموريون بصفة دائمة في الرافدين واستوطن السومريون في الغرب".[١٥]

إذن نصل إلى أن ثمة تعايشاً سومرياً . أكادياً . عموريا في الثلث الأول من الألف الثالث. وعلى جري المدن التي تمتلك الخاصية التجارية ، لابد أن تتمتع ماري بلغة تفاعل وحوار بين مختلف أروماتها الواغلة في دورة حياتها الاقتصادية . الاجتماعية الروحية وبالتالي امتلاك أدوات القوة الحضارية من أجل انبثاق فاعليتها الحضارية التاريخية.

الحياة المعتقدية في ماري . الألف الثالث

أيضاً لا نعتقد أن بإمكاننا البحث في الحياة المعتقدية في مدينة ماري في الألف الثالث ، دون الاستناد على البعد الديمغرافي ـ الاجتماعي في شقيه الزماني والمكاني. فالمعطيات الأثرية تؤكد ميزة التفاعل والامتزاج الاجتماعي ، بالإضافة إلى التنوع في مجال الرموز الاعتقادية تبعاً للتنوع الديمغرافي. فإلى جانب الآلهة السومرية سنجد آلهة عمورية وبذا نحن أمام معابد للأولى كما للثانية.

وعلى هذا قدمت الكشوفات الأثرية معبداً للآلهة نيني زازا كما أمدتنا بمعبد للآلهة عشتار ، كذلك نجد معبداً لشمش وعشتارات ودجن ونينهورساج بالإضافة إلى العثور على زقورات ذات مهمات معتقدية مدينية اجتماعية.

وتشير الدلائل إلى أن الأرباب السومريون والعموريون عُبدوا بآن واحد في ماري. ويشير هالدار إلى أن جزءاً من سكان ماري كانوا يتكلمون السومرية ويعبدون الأرباب السومريين ، وقسم آخر كان يتكلم العمورية ويعبد الأرباب العموريين.

بدوره يشير ويلفرد جورج لامبيرت إلى أن مجمع الآلهة / البانثيون / في ماري كان يحاكي النمط السومري ، فثمة إله رئيسي وإلى جانبه مجمع من الأرباب. وهذا يؤكد حسب الباحث على التواصل الثقافي والروحي بين جناحي المشرق في عصر ماري.[16] ويصل إلى نتيجة أن وجود " أسماء آلهة سومرية في معابد سورية وأسماء آلهة سورية في معابد سومرية يجعل الحديث عن الحياة الاعتقادية في المشرق لا يكتمل إن لم يتم التطرق إلى كلا الجناحين ، الرافدي والشامي.

وفي مجال مقاربتنا للحياة الاقتصادية والطقوس في ماري ، فنحن نعتقد أن ما كان موجوداً في مواقع الرافدين لهذه الفترة ، ينسحب على مدينة ماري كون أن الفاعلية الرافدية كانت أقوى من جهة ، ومن جهة أخرى أنه تبعاً لذلك كانت ماري ذات توجه رافدي ولا سيما في النصف الأول من الألف الثالث. ونظراً لأن نصوص ماري العائدة للألف الثالث لم تقدم بعد معطياتها لقلّتها ، لهذا سنحاول تتبع مجمل فعاليات الحياة الاعتقادية والطقسية التي كانت سائدة في مواقع الرافدين المتزامنة مع هذه الفترة من حياة ماري.

وبالعودة إلى ثنائية السلطة في شقيها المعبدي والزمني ، نلاحظ أنه مع بدايات تشكّل المدن الأولى كان ثمة سيادة للسلطة المعبدية على حركة المجتمع ، ويبدو أنه مع معالم نشوء السلطة الزمنية المتجلية في القصر والملك ، أصبحنا أمام تقاسم للأدوار بين المعبد والقصر ويبدو أن كل هذا اختص في مجال الفاعلية السومرية ، ولم تتوضح معالم فصل المعبد عن دولة المدينة إلا مع العصر الأكادي وانبثاق الفاعلية الأكادية في النصف الأخير من الألف الثالث ق.م.

فبالعودة إلى الحقبة الأولى من تشكّل المدن ولا سيما في الرافدين ، نلاحظ أن حاكم المدينة كان يقوم بوظيفة مزدوجة فهو إلى جانب كونه ملكاً ، غير أنه كاهن أيضاً ، ما يعيد للأذهان وجود حالة توافيقية ومتداخلة بين كلا السلطتين. وباطراد مع الزمن أصبحنا أمام حالة لنشوء فئة من الكهان كانت غايتها التوسط بين الإله والجمهور ، ما يعني انسحاب السلطة المعبدية من مجال الحياة العامة ولو في شكل بدئي. فإن كان الإله . حسب اعتقادهم . هو المالك الحقيقي للأرض ، فإن الجمهور هم المستأجرون عنده ، وبالتالي فإن للكهان وظيفة أن يقوموا بتحصيل الضرائب وريع الأراضي.

وقدمت وثائق أوروك في هذا المجال دليلاً على تسديد الضرائب والالتزامات إلى الكهان. وثمة وظائف أخرى يقوم بها الكهان ولا سيما كبيرهم الذي تستند إليه مهمات قيام وإقامة الطقوس المعتقدية الكبرى / السنة الجديدة مثلاً /. ويمكننا مقاربة فئات الكهنة التي كشفت عنها وثائق المدن الرافدية والتي نعتقد أنها انسحبت على الحياة الاعتقادية بعامة على كامل المشرق العربي ومنه مدينة ماري.

الكالو KALU

وهم فئة من الكهنة كانت مختصة بموسيقى المعبد ، حيث كانت تؤلف الترانيم والليتورجيات وتعنى بالآلات الموسيقية. بحيث أن وظيفتهم الأساسية كما أشارت الوثائق هي " تهدئة قلب كبار الآلهة " وكان من يريد العمل في هذه الفئة أن يتبع دورة تدريبية تستغرق ثلاثة أعوام.

الأشيفو ASHIPU أو مَشْماشُو

كانت وظيفة هذه الفئة تنحصر في درء الأرواح الشريرة والشياطين عن الناس وذلك عبر إقامة الطقوس وتلاوة التعاويذ ، وكان الاعتقاد آنذاك أنه حتى الأمراض أو الحوائج والأوبئة كان مصدرها تلك الأرواح الشريرة.

البارُو: BARU

وتعني الرائي. وهذه الفئة كانت تختص باستطلاع الفأل وتفسير الأحلام ورصد الفلك والنجوم وكان لهذه الفئة دوراً مهماً في استطلاع نتائج الحروب وتقديم المشورة إلى الملك.

قدشتو

وهذه الفئة من الكهنة تختص بالنساء ، وتخبرنا الوثائق أن بنات الملوك كنّ يلتحقن بهذا السلك فهو مدعاة للفخر والايمان حيث تصبح النسوة كاهنات المعبد ومثال ذلك ، ابنتي نارام سن الأكادي. وقد صانت قوانين حمورابي في الألف الثاني قبل الميلاد ، حقوق هذه الفئة ووضعت قوانيناً تحدد آليات عملهن وسلوكهن. وكانت النسوة اللواتي يلتحقن بمعبد عشتار يطلق عليهن اسم " عشتاريتو ".

طقوس المعبد

كان المعبد يَعْبر عدة مراحل طقوسية يومية ، فهناك أولاً: غسل تماثيل الآلهة وكسوتها وإطعامها. حيث يوضع أمام الحرم ،الزهر والطعام والشراب للآلهة ، بالإضافة إلى البخور ومجامر حرقه. ويتألف طعام الآلهة من الخبز والكعك ولحم الحيوان والأسماك. وتقدّم القرابين من قبل الجمهور سواء كانت من الماشية أو نتاج الحقول وهي بمثابة ضريبة عن ريع الأراضي وغيرها.

وفي حكمة تقديم القرابين ، فإن الوثائق تشير إلى أن هذا الأمر ضروري لجهة جعل الإله في مزاج حسن وتجنب غضبه.[⊗] وباعتقادنا أنه لا يمكن النظر إلى مجمل فعاليات الحياة الاعتقادية في ماري / الألف الثالث/ إلا من خلال فعل التمازج والتعايش وسيادة الثقافة الأقوى ، عنيت الثقافة الرافدية وإلى جانبها ما تمخض عن السياق الأكادي .العموري.

ولعل طبيعة ماري التجارية فرضت عليها أن تكون حاضنة لمجمل الاعتقادات ورموزها ، وهذا ما فرضه الواقع الاقتصادي ، التجاري ، بما يُذّكر أيضاً في مجمل معايير ومنظومات المدن القائمة على الفعل التجاري وإشراطاته ، مثل تدمر في القرون الميلادية الثلاثة الأولى وبابل في الألف الأول قبل الميلاد.

واستناداً على ذلك ، فإن ماري في الألف الثالث ، حفلت بمعابد سومرية ومعابد عمورية ، وكذلك آلهة سومرية وعمورية ، فإلى جانب معبد نيني زازا السومري نجد معبداً للآلهة عشتارات العمورية. " ولما كانت التجارة تتيح إمكانية التبادل ليس فقط بين البضائع ، بل أيضاً بين الأشخاص كالتجار مثلاً ، فكانت النتيجة أن استوطن العموريون بصفة دائمة في الرافدين واستوطن السومريون في بلاد الشام "[⊗١]

إذن ثمة تداخل بين العالم التجاري وإشراطاته ، مع العالم الاعتقادي وكذلك مع عالم التوطن والاقامة في المدن المختلفة في المشرق. وقد قدمت معطيات ماري العمرانية ، وجود معابد لـ نيني زازا ونينهور ساج وكذلك عشتار ودجن.

ويشير أندره بارو مكتشف ماري إلى أنه ومع بداية تأسيس ماري ، شهدت هذه المدينة مع أول سلالة حاكمة لها فترة ازدهار عبّرت عن نفسها في إنشاء القصور والمعابد التي ترقى إلى حوالي 2900 . 2600 ق.م.[⊗⊗٣٢] ومع حوالي منتصف الألف الثالث ستكشف التنقيبات ، عن وجود تماثيل تعبر عن الخشوع والإيمان تخص الحكام والكهنة موضوعة في المعابد ، وهذا ما نجد صداه في مواقع عديدة من المشرق ، كمواقع خفاجي وتل أسمر في الرافدين وموقع تل خويرة في الشام.

أما الباحث مارجرون فيؤكد وحدة الذهنية المعمارية في الشرق ، بقوله: " لا يمكن الحديث عن استقلالية سوريّة في مجال العمارة الدينية عن الرافدين "[⊗⊗⊗٤] وتجمع دراسات الحياة الاعتقادية في ماري وعمارتها وذهنيتها على هذا النموذج الاعتقادي بين كلا مدن الجناحين المشرقيين فالباحث ويلفرد جورج لامبيرت يتحدث عن " أسماء آلهة سومرية في معابد سوريّة وكذلك أسماء آلهة سوريّة في معابد سومرية ، يؤكد بناء على هذا على أن أي حديث عن مجمع ديني في سورية أو الرافدين لا يكتمل ما لم يتم التطرق إلى كلا الجانبين "[⊗٥]

وقدّمت نصوص ماري ما يزيد على 125 اسماً إلهياً مقدساً ، مثل: شمش ، سين ، أدد ، عشتار ، إيا ، ننهور ساج . داجان.. الخ. أما الأضاحي المقدمة الآلهة فكانت دوماً من الخراف الذكور ، وكانت تؤكل بعد ذبحها مع ملاحظة أن الكنعانيين كانوا يحرقونها. وتشير الوثائق أيضاً إلى ظهور اسم إله هو / اتور .مير / وتعني بوابة ماري ، وربما هذا يعطي دلالة إلى وجود إله قديم في ماري أعطاها اسمه.[⊗⊗] أما معابد ماري في هذه الفترة فسنجد ، معبد عشتار ، معبد شمش ، معبد ننهور ساج ، معبد عشتارات ، معبد نيني زازا . معبد داجن. كما عثر على زقورات ذات وظيفة اعتقادية ودنيوية.

الجدير ذكره أن مساكن الكهنة كانت تقام إلى جوار المعابد. وقد أبانت مكتشفات ماري على نشوء ظاهرة جديدة تمثّلت في انشاء قصر . معبد ، وهي ظاهرة مميزة بين مدن المشرق العربي آنذاك. وربما هذا يدل على وجود نوع من التصالح بين السلطتين الاعتقادية والزمنية."وقد عثر في معابد مدينة ماري هذه على مجموعة كبيرة من تماثيل العبّاد الورعين ، والذي يعتقد أنه كانت هناك ورشات عمل تنتج تماثيل بشرية متشابهة تبيعها للراغبين من الرجال والنساء.

وعلى مدى عدة قرون / 2700 . 2350 / ق.م ، انتجت ورشات ماري تماثيل رجال مُثلوا وقوفاً ، أو في بعض الأحايين القليلة جلوساً ، حفاة ، يرتدون مئزراً معذقاً بأكمله أو طرفه فقط يشده إلى الخصر أحزمة ، ويستر النصف السفلي من الجسم أما النصف العلوي فيبقى عار ،

⊗ للاستزادة في هذا المجال يمكن الرجوع إلى مؤلفات عديدة تتحدث عن هذه الأمور ولا سيما:

- S.H.HOOK . BABYLONIAN AND ASSYRIAN RELIGION

.صموئيل كريمر .طقوس الجنس المقدس .ت .نهاد خياطة .دار الفربال .دمشق 1989

.انطوان مورتقات .تموز .ترجمة .توفيق سليمان .دار المجد .1985

. ما قبل الفلسفة. هنري فرانكفورت وآخرون .ت . جبرا ابراهيم جبرا . المؤسسة العربية .لبنان .1980

⊗ هالدار – العموريون. ١٩٩٣- دار الأبجدية.

⊗⊗ أندره-بارو- ماري- وزارة الثقافة السورية ١٩٧٩.

⊗⊗⊗ جان كلود مارجرون- دليل معرض الآثار السوري الأوروبي.

⊗ فيصل عبد الله - دراسات تاريخية – ٣٨/٣٧ قراءة في ٥ مجلدات عن ماري.

⊗⊗ المرجع السابق.

ومُثلت النساء واقفات وجالسات حفاة يرتدين ثوباً طويلاً فضفاضاً يستر الجسم.⊗

الجدير ذكره أن أغلب تماثيل ملوك ماري في هذه الفترة عثر عليها في المعابد. وحوى أحد القصور ـ المعبد الذي يعود إلى حوالي 2500 قبل الميلاد، على مصطبة مرصوفة بالبلاط حوت على بقايا عمود خشبي جميل من أرز لبنان، ما يقدم دليلاً مادياً على وجود علاقات لماري آنذاك مع الساحل السوري.

وكما أشرنا إلى احتواء المعابد على تماثيل الملوك، نجد تمثال لمجي ماري في معبد عشتار، وتمثالاً للملك إيكو ـ شاما ـ كان في معبد نيني زازا، وكذلك تمثال المغنية أور ـ نانشي الذي نقش على ظهره اسم الملك إيلول ـ ايل. وكانت معابد ماري على صنفين: الأول: هو المعبد الطويل حيث يكون المصلى طويلاً. والثاني: معبد يكون مخططه شبيهاً بمخطط بيت السكن وهو بيت الرب.

وتشير الدراسات إلى وحدة النمط المعماري بين المعبد B_2 في إبلا مع بيت العبادة التابع للقصر في ماري والذي يرقى إلى 2300 قبل الميلاد. وكان الرب الحقيقي أو الرب الوطني في ماري هو داجان / دجن. مع الإشارة إلى أن الملوك آنذاك، درجوا على وضع بناتهم في سلك الكاهنات في المعابد، وذكرنا مثلاً أن نارام سين وضع ابنته كاهنتين في معبد شمش، وهما شوما شاني وأختها ميكيبار.

الواقع السياسي
في الألف الثالث قبل الميلاد ـ عصر ماري

في إشارته إلى الجناح الشرقي الرافدي يقول أرنولد توينبي: " كانت سومر في فجر التاريخ للمدنية السومرية، قطعة فسيفساء مكونة من مدن ـ دول محلية ذات سيادة. والوحدة الثقافية التي عرفها العالم السومري لم تكن بعد قد وازنها وحدة على المستوى السياسي " (١٧) ففي هذه الفترة نحن أمام مدن تكاملت مصالح كل واحدة على حدة، فنجد، أوروك ـ أور ـ لاجاش ـ كيش ـ أوما ـ شوروباك ـ نفر ـ أدب ـ نيبور ـ أريدو ـ ماري.

وهنا تنبغي الإشارة إلى أن مدينة إبلا والتي يعود بدء استيطانها إلى حوالي 3500 قبل الميلاد، كانت ذات تواجد تاريخي لا بأس به في النصف الأول للألف الثالث، إلا أن فاعليتها التاريخية لم تكتمل إلا في حوالي 2400 قبل الميلاد متواقتة تقريباً مع نشوء الفاعلية الأكادية أو قبلها بقليل. وتعطي وثائق هذه الفترة منذ فجر التاريخ واستمراراً حتى النصف الأول من الألف الثالث انطباعاً على أن دول المدن تلك تعايشت خلال القرون الأربعة الأولى وفي أبعد تقدير الستة الأولى، في وئام ودون أن تتصادم فيما بينها.

⊗ بغية الاستزادة، انظر مؤلف الدكتور علي أبو عساف، فنون الممالك القديمة في سورية – دار شمأل ١٩٩٣-دمشق.

ويبدو هنا أن الصدام والصراعات ما كانت لتحصل إلا عند اكتمال الشرط الحياتي للمدينة سواء في مجال الاقتصاد أو التجارة أو الحدود الادارية/الدولية لكل مدينة، حيث سنصبح أمام صراع معظمه صراع مصالح مدينية في غياب وجود وعي اتحادي يصون مصالح الجميع والذي يبدو أنه لم يكن ليتحقق إلا عبر وجود قوة فاعلة لمدينة ووجود رأس لهذه المدينة يعي هذا الأمر وهذا ما نجده صداه في محاولات عديدة بدأها لوغال زاجيزي ثم شاروكين الأكادي وشمشي أدد وحمورابي.

وبالعودة إلى ما قبل كل ذلك، فإن لحظة الصراع المصلحي بين مدن الجناح الرافدي تبلورت حين اتسعت أملاك مدن ـ الدول وامتدت أراضيها بحيث أصبحت تلك المدن متجاورة ومتلاصقة فيما بينها بشكل مباشر، ما أتاح هذا المجال للاحتكاك المباشر وبالتالي ظهور صراعات حدودية واقتصادية وتجارية وملاحية.

فالرافديون " لم يستجيبوا للتحدي الاجتماعي باللجوء إلى الطريقة الأساسية للتوحيد والوحدة، على نحو ما تمَّ في مصر حين ظهرت المشكلة الاجتماعية ذاتها هناك. بل استمرت مدن الدول السومرية حتى بعد تماسها واحدتها بالأخرى في الحفاظ على استقلاليتها وسيادتها المحلية ". (18)

وبذلك فمع منتصف الألف الثالث سنشهد بدء الصراعات بين المدن الرافدية والتي أخذت طابعاً عسكرياً، فاختلاف مدينة أوما مع لاجاش حول قناة مائية تقع على تخوم المدينتين سيفجر صراعاً عسكرياً أدى إلى انتصار مدينة لاجاش. ثم وفي فترة حكم إناتوم حاكم لاجاش، قامت هذه بحروب على مدن أور ـ أوروك ـ كيش، واستطاع هذا الحاكم الوصول إلى منطقة الفرات الأوسط وماري.

الجدير ذكره هنا، هو أن بعض أوجه الصراع لم تكن لأسباب المصالح المدينية بقدر ما كان تعبيراً عن حيوية المدينة واكتمال فاعليتها ما يدفعها إلى التوسع واحتواء المدن الأخرى كعنصر من عناصر ثقافة الأقوى والذي تخبرنا عنه حركة التاريخ.

وبعد انتصار لاجاش سنلاحظ أن معالم التمدد والتوسع تحمل في طياتها تآكل للنظام نفسه وهذا ما نجده هنا حيث قام أوركا جينا بحركة تمرد في لاجاش أدت إلى اعتلائه لسدة الحكم فيها. وقاد حركة اصلاحية اجتماعية لكافة ظواهر ومجريات الحياة في لاجاش، غير أن مصالح المتضررين من هذا الاصلاح دفعت بهؤلاء كي يتآمروا مع حاكم مدينة أوما لوغال زاجيزي ⊗، ما أدى إلى سيطرة أوما على لاجاش.

ثم ونتيجة لاكتمال فاعلية أوما التاريخية ولا سيما بعد إسقاط لاجاش، سنجد أن زاجيزي سيطر على مدينة أوروك، واستطاع هذا الملك أن يستغل الصراعات القائمة بين مدن الدول آنذاك لصالحه وهذا ما مكّنه من الاستيلاء عليها. وإليه ينسب تدمير ماري في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. والذي يبدو أن محاولات زاجيزي هذه، تعتبر أولى محاولات التوحيد السياسي / بقوة السلاح / تتم في المشرق العربي بحيث استطاع أن يصل إلى ساحل البحر المتوسط.

⊗ لعل ظاهرة لوغال زاجيزي تُعبّر عن مدى التفاعل السومري ـ الأكادي. فهو كان حاكماً لمدينة سومرية غير أنه كان أكادي النسب وذلك بالاستناد إلى اسم أبيه " بوبو " الأكادي. (BUBU). انظر عيد مرعي ـ تاريخ الرافدين ـ دار الأبجدية ـ دمشق ـ 1991 ـ ص 38.

وفي معرض مناقشته لظاهرة لوغال زاجيزي يشير توينبي إلى أن التوحيد السياسي الذي فرضه كان العلاج الوحيد لظواهر اجتماعية سلبية كالحروب الأهلية .الصراعات والتفكك.

كما أن شبكة الأقنية المائية التي كانت قائمة في الحوض الأدنى لدجلة والفرات ، الطبيعي منها والاصطناعي ، كانت وحدة لا تقبل التقسيم ، وما لم تقم سلطة واحدة قادرة على تنظيم عالم المياه بالكامل ، فإن ادارة هذا العالم المائي لا يمكن أن تكون فعالة وسليمة.

أيضاً لا يخفى هنا وجود بعد اقتصادي ملاحي تجاري يتبدى في السيطرة على المعابر المائية التجارية لدجلة والفرات بالإضافة إلى وجود حاجة رافدية دائمة للحصول على الأخشاب من جبال الأمانوس وكذلك الحصول على النحاس من مناطق بعيدة.

ووسط كل ذلك ، كان ثمة فاعلية تسعى للاكتمال ولا سيما في منحاها الديمغرافي وذلك في مدينة كيش ، بحيث أن اكتمال هذه الفاعلية سيؤدي إلى انحسار فاعلية زاجيزي المتسعة غرباً. ويبدو أن الأمر حُسم حين قام زاجيزي الذي أصبح مقره في مدينة أوروك بمحاولة إنهاء فاعلية كيش المهددة له ولمشروعه وهذا ما سوف يؤدي إلى خروج شاروكين الأكادي من مدينة كيش / حوالي 2340 ق.م / وانتزاعه للامبراطورية من يد زاجيزي ، وهنا سوف تبدأ الفاعلية الأكادية نحو منعطف جديد في تاريخ المشرق العربي. ⊗

وتشير الوثائق الكتابية إلى أن شاروكين قام بحوالي 34 حملة عسكرية ضد لوغال زاجيزي حتى تمكن من أسره وعرضه أمام الإله انليل في مدينة نفر. وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلا المدينتين أريدو ونفر كانتا ذات فعالية دينية/اعتقادية ، بشكل جوهري ولم تكن لهما أي مطامح سياسية.

مدينة ماري بين 2900 . 2350 قبل الميلاد

لندرة الوثائق الكتابية في ماري والتي تعود لمطلع الألف الثالث قبل الميلاد بالاتجاه نحو منتصفه ، فإن ما عوّض عن ذلك هو الوثائق الرافدية / البابلية والآشورية/.

فقد أبانت هذه الوثائق / ولو أنها أتت في فترة متأخرة عن ذلك العصر / عن ستة ملوك حكموا ماري لمدة 136 عاماً. علماً أن سلالة هؤلاء الحكام وغيرهم حكمت بين 2900 . 2600 ق.م . وأول حكام هذه السلالة هو أنسود. وبعد الكشف عن رُقم إبلا في الألف الثالث / العائدة نحو منتصفه / أبانت هذه عن وجود أسماء لملوك حكموا مدينة ماري ، ولم يرد ذكرهم في ثبت الملوك البابلي الآشوري.

ويميل الاعتقاد إلى أن هؤلاء حكموا في الفترة بين 2600 . 2350 قبل الميلاد. وهم: إيكوشمش . سوم . ايشتوب شار . ايبلول إيل . إنا دجن . لمجي ماري . إيكو شاماكان./ يمكن الرجوع إلى الملحق الأول للكتاب/. ويبدو أن فاعلية ماري/ بحيث يمكن اعتبارها مملكة تسيطر على مجالها الطبيعي والحيوي التاريخي / تحققت في زمن حكم ايبلول إيل ، حيث أشارت الوثائق إلى أن ماري كانت القوة الوحيدة المسيطرة على حوض الفرات الأوسط ، بحيث استمرت في فاعليتها التاريخية حتى ظهور الفاعلية الأكادية في حوالي 2350 قبل الميلاد.

وقد دلّت الوثائق على هذا الأمر ، عبر قراءة رسالة لحاكم ماري ايبلول إيل ، عثر عليها في أرشيف إبلا حيث يذكر هذا الملك أعماله ومنجزاته ، بالإضافة إلى أعمال سلفه . ايشتوب شار ، وسوم اللذين سيطرا على مدن عديدة في حوض الفرات.

ويبدو أن محتوى الرسالة يتضمن وجود صراع مصالح خفي بين ماري وإبلا في هذه الفترة ، وهذا ما سنناقشه لاحقاً في فصل منفصل. إذن ، إن المشهد البانورامي باتجاه منتصف الألف الثالث يشير إلى وجود صراعات مصالح بين مدن المشرق العربي ولا سيما في جناحه الرافدي ، ثم سنشهد علاقات متباينة ومتصالحة بين ماري وإبلا. على أنه حين دمّر لوغال زاجيزي ماري فإنها سرعان ما أعادت بناء نفسها وباقتدار ، ما يدل على فاعليتها آنذاك ولاسيما الاقتصادية — الاجتماعية-الروحية.

هذا في وقت كانت إبلا توطد دعائم دولتها وتحاول السيطرة على مدن العبور التجاري ، وهذا ما يؤكد ترّنح علاقتها مع ماري تبعاً لمصالحها وتبعاً لمصالح ماري ولا سيما التجارية منها. والذي يبدو أنه في فترة التصالح بينهما وتأسيس علاقات حميدة بينهما ، كان هذا الأمر ينعكس إيجاباً لصالح المدينتين. جورجيو بونشيلاتي بدوره يؤكد أن ماري ومنذ حوالي 2400 قبل الميلاد ، كانت تسيطر على منطقتي الفرات وحوض الخابور واستمرت حتى سقوطها على يد حمورابي في 1760 قبل الميلاد ، وعلى نفس المنوال.[19]

وتشير الدراسات إلى أن ماري في الألف الثالث امتد نفوذها حتى كركوك في فترة إيبلول إيل ، ومنطقة كوموكينا في الأناضول ، وأن إبلا دفعت الجزية لها ، كذلك تشير تلك الأبحاث إلى أنه في فترة حكم ايشتوب شار خضعت إيمار لفاعلية ماري.[20] واستطاع الباحث الفونسو آركي من تحديد ملوك الألف الثالث في ماري ولا سيما مع الثلث الثاني منه كما يلي: سوم . ايشتوب شار . إيبلول إيل . نيزي . إنا دجن . إيكوشار . حيدار.

وقد كشفت وثائق إبلا عن إرسال كميات من الهدايا من إبلا في عهد ملكها أرانوم الذي حكم بين حوالي 2400 . 2300 ق.م إلى ماري في فترة حكم إبلول إيل ونيزي وإنا دجن ، وقد بلغ مجموع الهدايا المرسلة هذه 63 كيلو غراماً من الذهب و 1008 كيلو غراماً من الفضة. وهذا يشير إلى سيادة فاعلية ماري بمملكتها في هذه الفترة وصولاً إلى إبلا. ومع حكم إيكوشار وحيدار لمملكة ماري ، يبدو وأن فاعلية ماري قد هدأت وسادت علاقات متوازنة وندية بين المدينتين ، ويبدو أن توطد دعائم الفاعلية الإبلية ساهم في هذا التوازن. لذا سنجد أننا هنا أمام إقامة علاقات اقتصادية وتجارية وفق معاهدات ، وهذا ما سمح بتفعيل العبور التجاري للبضائع والسلع من وإلى ماري وإلى إبلا ومدن أخرى مثل كيش الرافدية ، لا بل وتشير وثائق إبلا إلى انتقال الحرفيين بين المدينتين.[21]

⊗ في مقاربة المستشرقين لهذا الصراع بين شاروكين وزاجيزي ، نجد أنهم يحاولون مناقشة هذا الأمر وفق صراع ديمغرافي بين السومريين والأكاديين ، غير أننا هنا نستبعد هذه المقاربة التي لا تمت لذهنية المشرق العربي القديم ، فالوثائق لم تشر إلى حدوث صراع ديمغرافي سومري . أكادي ، كذلك إن الصراع هنا يتبدى في مسألة انبعاث فاعلية تاريخية واكتمال شرطها الحضاري دون اعتبار آخر. كما أننا نعلم أن زاجيزي هو أكادي وحاكم لمدينة سومرية ، وأن شاروكين هو أكادي أيضاً.

مع الإشارة إلى أن ماري كانت وبقيت مفتاح السيطرة على التجارة النهرية لنهر الفرات ، واستطاعت كلا المدينتين أن تسيطر على النصف الشمالي لبلاد الشام. وأيضاً ، يجدر الذكر هنا ، هو أن نشوء وإنشاء ماري في منطقة الفرات الأوسط جعلها همزة الوصل بين جناحي المشرق العربي وبمعنى آخر فإن هذا الأمر قد أرسى لتوجه حضاري جديد يتجلى في محاولة جعل الجناح الرافدي منفتحاً أكثر على عالم المتوسط وبلدانه عبر موقع ماري وتالياً إبلا.

ويشير الباحث مارجرون إلى هذا الأمر بقوله: "إن وادي الفرات الأوسط ، عاش عصره الذهبي في فترة البرونز ، وأن هذا الوضع يتطابق واللحظة الحاسمة في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، حين كانت سهول الرافدين التي سارت على خطى حضارة أوروك تتجه بنفسها نحو البحر الأبيض المتوسط".[22]

الحياة الاقتصادية ـ التجارية 2900 ـ 2350 ق.م

لمقاربة دقيقة للواقع الاقتصادي التجاري لماري في الفترة الممتدة بين مطلع الألف الثالث وصولاً إلى ظهور الفاعلية الأكادية ، ينبغي علينا التأكيد على حقائق عدة:

أولها: أن هذا الواقع الاقتصادي .الاجتماعي لا ينفصل عن الواقع السياسي الذي تبدى منذ نشوء المدن الأولى وتكّون مصالحها باطراد ، وأن هذه المصالح كانت تُعبّر عن نفسها ضمن وعي مديني لم يرقَ إلى وعي اتحادي بين المدن آنذاك.

وعليه فإن ما نتابعه من دراسات وأبحاث للمستشرقين والتي تُعنى بمناقشة هذه المسائل ، ولا سيما الصراعات بين المدن تلك على اعتبار أنها صراعات هوية ديمغرافية ، فيجري التركيز على الهوية السومرية مقابل الهوية الأكادية ، بحيث يتبدّى للقارئ والمتابع أن ثمة صراعات أثنية آنذاك ، وقد فندنا ذلك فيما سبق وأظهرنا أن وثائق المشرق العربي القديم الرافدية لم تشر إلى صراعات أثنية أو ديمغرافية مع الأكاديين ، لا بل إن التعايش بينهما كان يعبّر عن نفسه في مجمل حركة المجتمع آنذاك ، وإن ذكرت الوثائق الرافدية ، العموريين ، بشكل سلبي ، فهذا لم يكن استناداً إلى معطى ديمغرافي بقدر ما كان تعبيراً وصفياً عن جماعة مرتحلة من البدو لم تصل بعد إلى التفاعل مع العالم الزراعي والمديني رغم وجود عناصر عمورية متزامنة امتلكت التفاعل وانخرطت في حركة المجتمعات في مدن المشرق الرافدية.

وعليه فإن ما درج عليه بعض المستشرقين في هذه المسألة ، نقف إزاؤه وقفة نقدية ، ونشير إلى أن صراع المصالح المدينية هو الأساس الكامن خلف صراع المدن المشرقية آنذاك ، وبالتالي فلا نحبذ الإشارة إلى فاعلية أور في الثلث الأخير من الألف الثالث على أنها نهضة سومرية متأخرة ، لأن المعطيات الأثرية تدل على وجود ركائز ومداميك أكادية في فاعلية هذه المملكة في هذه الفترة. ولا يمكن الركون إلى الأسماء فقط لإلصاق مرحلة كاملة بهوية واحدة ، طالما أن حركة التاريخ في مجتمعات المشرق أساسها التفاعل والتمازج الذي وثقته الكتابات والمعطيات الآثارية.

ثانيها: إن اختلاف ممكنات البيئة الطبيعية ومواردها/ والمناخ كذلك / بين مواقع مدن المشرق العربي آنذاك فرضت نشوء حاجات اقتصادية لتلك المدن ، وكذلك أدت إلى نشوء أهمية خاصة ومميزة للمدن النهرية أو مدن العبور التجاري.

فمثلاً ، إن وثائق إبلا تتحدث في الألف الثالث على أن ملوك الجنوب الرافدي كانوا يعتمدون على المواد الخام الثمينة من خشب وذهب وفضة وما إلى هنالك من مدن الجناح الغربي/ بلاد الشام. حيث كانت إبلا على مقربة من مصادر تلك المواد والتي استطاعت ممارسة تجارتها ونقل المواد عبر الفرات إلى مدن الجنوب الرافدي ، وهنا يكمن دور ماري الهام في هذا السياق.

يقول مارجرون: " في سهول بلاد ما بين النهرين ، لا وجود للأخشاب والحجارة والمعادن ، وبالتالي لا وجود للمواد الأولية ، لهذا فإن السهول المحرومة من المواد الأولية والمحروقات مثل أور ، وماري في وسط الفرات ، فرضت نفسها كمراكز لصناعة المعادن المستوردة ومن الدرجة الأولى في بداية الألف الثالث قبل الميلاد".[23]

على أن ماري كانت تمارس رقابة نهرية صارمة على حركة الملاحة الفراتية ، وهذا ما سبّب لها الازدهار المشهود له ، حيث استطاعت أن تكون صلة الوصل بين العمق الشامي والعمق الرافدي وبالتالي إلى ما وراء العمقين معاً.

ثالثها: أن النشاط التجاري والسلعي لم ينحصر في الألف الثالث بين مدن المشرق العربي ، بل ثمة بعض المدن التي أنشأت خطوط تجارة تتجاوز الأفق المشرقي.

فقد كشفت وثائق منتصف الألف الثالث أن مدينة لاجاش الرافدية كانت تستورد النحاس من الديلمون في البحرين ، والقصدير من الشمال ، والخشب من عيلام والديلمون أيضاً. كما أنها استوردت مستحضرات وزيوت الأشجار الابرية من مدن بلاد الشام. مع الإشارة إلى أن مدينة أور في الجنوب الرافدي ، كانت ميناء بحرياً مهماً لوقوعها على مقربة من الخليج العربي حيث تذكر الوثائق أنها كانت مركزاً مهماً للتبادل التجاري.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن التجارة آنذاك كانت تجارة مقايضة بين السلع. كمقايضة مثلاً المنسوجات والحبوب بالنحاس من الديلمون ، وثمة بضائع كان يتم تسديد أثمانها بالفضة. أيضاً ثمة شأن آخر يتعلق باستيراد الأحجار الكريمة من مراكز حضارية بعيدة وتشير الدراسات على أنه " منذ نشأت الحضارة في المشرق العربي ، تطورت التجارة تطوراً سريعاً ، وسعى الناس للحصول على بعض المواد الخام من البلدان المجاورة.

وكان من بين المواد التي ازداد الطلب عليها منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، الحجر الأزرق اللامع الذي يعتبر من الأحجار الكريمة العادية والمطواعة بين أيدي الحرفيين. وقد عثر على ما أنتجه هؤلاء من هذه المادة على شكل حليّ وأختام اسطوانية وقطع زخرفية .. الخ ، في العديد من المواقع الأثرية الهامة مثل أوروك ، وأور ، ماري ، إبلا ، وتحدثت عنه الوثائق المسمارية المشرقية كسلعة تجارية هامة من غير أن تذكر مصدره. ومن المعلوم أن هذا النوع من الحجارة متوافر في أفغانستان ".[24]

ويبدو أن الخط التجاري لهذه المادة كان يتم عبر ايران عن طريق موقع تبه .هيسار الذي يقع شرق مدينة طهران ، حيث كان هذا الموقع يتاجر بالأحجار الكريمة ويُصّنعها أيضاً في مشاغله منذ الألف الثالث قبل الميلاد. ثم يتابع الطريق إلى موقع تبه .سيالك إلى الجنوب من طهران ومن ثم إلى مدن المشرق العربي ولا سيما ماري.

وتشير وثائق أور في الألف الثالث ومنذ منتصفه إلى استيراد النحاس من باكستان إلى أور عبر البحر. حيث كانت السفن تبحر من

جزيرة فيلكة / الكويت / وتمر من البحرين حتى مضيق هرمز محملة بالسمسم والأنسجة ، ومنها إلى موانئ باكستان حيث تفرغ حمولتها وتعود محملة بالنحاس. مع الإشارة إلى أن هذه الطريق هي نفسها التي نقلت الحرير من الشرق الأقصى إلى المشرق العربي ثم نحو عالم المتوسط.

ويشير الباحث هورست كلينغل إلى ذلك بقوله: "ثمة قاعدة للاقتصاد السوري هي التجارة وذلك لسببين هما: الموقع الجغرافي والإنتاج الاقتصادي. فقد أصبحت سورية بمشاركتها بالتجارة البعيدة بالأحجار الكريمة منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، مركزاً للمبادلات الاقليمية ، وهذا ما تطور مع أوائل الألف الثاني ق.م ، عندما برز العالم الإيجي وقبرص كشركاء في التجارة "[25]

الجدير بذكره أن مدينة ماري وإبلا وبسبب موقعيهما الجغرافي المتميز ، شكلا نقطة تجارية ومحطة أساسية مهمة في طرق التجارة العالمية ولا سيما منذ الألف الثالث وهذا ما كان سبباً في تعميق التفاعل بين المدينتين لجهة السلب والإيجاب.

وكان " أهم طريق تجاري لإبلا هو الطريق الذاهب إلى الفرات ، وبخاصة إلى ماري ومن ثم إلى مدينة كيش في وسط الرافدين. وكان أهم شريك تجاري لإبلا هو مدينة ماري ، حيث كانت تنقل الأخشاب من جبال الأمانوس وسلسلة الجبال الساحلية السورية إلى ماري ، بالإضافة إلى النبيذ والشعير والمنسوجات والمفروشات. وكانت ماري تنقل الأحجار الكريمة مثل اللازورد والعقيق "[٢٦]

كذلك فقد نشطت مدن الرافدين في تجارتها نحو الشرق مثل ايران ومدن الخليج العربي واستطاعت أن تحصل عبر ذلك على المواد الخام والسلع الثمينة مثل الخشب والحجارة والمعادن وتشير وثائق الألف الثالث إلى أن العقيق واللازورد والكلوريت كانت تستورد من بادخشان في أفغانستان ومن هضاب ايران.

ونتيجة العثور على حليّ مصنوعة من اللازورد في ماري وإبلا وكذلك في مصر ، فإنه بالإمكان التأكد الآن على أن طريق اللازورد في تلك الفترة ، كان ينطلق من الشرق مروراً بالمشرق العربي إلى مصر وقد أمكن تحديد هذه الطريق التي تنطلق من بادخشان في أفغانستان إلى مصر وذلك عبر: موقع شهري سوخطة في سيستان ثم تبه هيسار ، وتبه يحيى ومدينة في عيلام ثم آشور وماري وإبلا وجبيل أو ميناء آخرسواه على الساحل السوري.

وقدمت المعطيات الأثرية الإبلية على وجود علاقات قوية بين إبلا ومواقع الجنوب الرافدي من ناحية ، ومع مصر من ناحية أخرى وقد أصبح لدينا الآن سبب للافتراض بأن تلك العلاقات كانت تتم عبر وساطة كلية أو جزئية لمراكز أخرى مثل ماري أو جبيل ".[27]

ويشير كلينغل إلى " أن النقص في المواد الخام اللازمة للبناء والنحت والصياغة ، أدى إلى تحريض مدن المشرق كي تفعّل تجارتها نحو بلدان بعيدة مثل أفغانستان ووادي السند ومصر مروراً بإيران. وكون أن الفرات الأوسط يقع في وسط هذا الخط التجاري العالمي ، فقد أخذ أهمية قصوى في الألف الثالث قبل الميلاد عبر مدينة ماري.[28]

هذا من جهة مدن المشرق العربي ، أما لجهة مواقع الخليج العربي والتي ساهمت ومارست التجارة بين مدن المشرق وشبه القارة الهندية ، فقد أماطت الكشوفات الأثرية في مواقع الخليج العربي البحرية على أنه ومنذ الألف الرابع قبل الميلاد ، قامت مواقع الخليج العربي بدور الوساطة بين مواقع المشرق العربي وشبه القارة الهندية ، حيث شهدت هذه نشوء حضارة هرايا المعاصرة لحضارة الألف الثالث في المشرق ولحضارة الديلمون في البحرين.

ومن أهم مواقع الخليج العربي ولا سيما على طول ساحله الغربي والتي امتلكت فاعلية تجارية مميزة نجد: موقع فيلكة في الكويت ، وفي السعودية موقع جرها ، وفي قطر والبحرين موقع الديلمون ، وفي الإمارات العربية موقع أم النار والعين وجلفار ، وفي عُمان موقع ماجان. ويشير د. محمد حرب فرزات إلى أن هذه المواقع شهدت ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد ، ملامح حضارية مادية وثقافية اتصلت بالثقافة المبكرة في المشرق العربي.[29]

وقد استطاعت هذه المواقع لعب دور الوسيط التجاري بين عالمي المحيط الهندي والبحر المتوسط عن طريق المشرق العربي ومصر.

النشاط الملاحي على الفرات وتقنياته

لا نعتقد أن تقنيات الملاحة وحركتها تختلف في الألف الثالث عن شقيقتها في الألف الثاني ، إلا ما اعترى الأخير من تطور تبعاً لمقتضيات مصالح الملاحة وصناعة السفن وزيادة التبادل التجاري ونشاطه في الألف الثاني ، أو نشوء مراكز ملاحية جديدة.

لهذا فإن كانت وثائق الألف الثاني قدمت معطيات عن هذه المسألة فإن ما نستطيع مناقشته في الألف الثالث يستند عليها ، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه مع إنشاء ماري كانت السلطة قد أقامت قنوات ملاحية لتعزيز وتسهيل هذا الأمر وجعله مطواعاً لمتطلبات أو علة إنشاء مدينة ماري. فميناء هذه المدينة كان المحطة الأخيرة للسفن القادمة من منطقة الجزيرة العليا. واستطاع الفرات والخابور أن يستجيبا لمتطلبات الملاحة والنقل عبرهما وعبر القنوات المتفرعة عنهما ، علماً أن النقل المائي يعتبر أسهل وأرخص وآمن من النقل البري.

وكون أن نهر الفرات الذي كان يشكّل عصب التجارة المشرقية والدولية آنذاك لم يكن ليصلح للملاحة لاختلاف سوياته أولاً ، ثم أنه في شهري آب وكانون الأول تكون مياهه في أخفض حالاتها مما يضعف حركة الملاحة فقد استطاع الماريون للتغلب على هذه المشكلة من أن يبتكروا قوارباً ذات قواعد مسطحة وجوانب مستديرة أو مستقيمة ، ولم تحتج هذه القوارب للأشرعة كون أن اندفاع تيار النهر أقوى من حركة الرياح وهذا ما جعلهم يسحبون هذه القوارب بالحبال. كما صنعوا قوارب من الجلود يتم نفخها عند الاستعمال وهناك سفن مصممة للابحار مع التيار وسفن بعكس التيار. وتذكر وثائق مدينة نيبور الرافدية أنه للذهاب من لاجاش إلى نيبور / حوالي 140 كيلومتراً / ، كان يقوم 16 عاملاً بجرّ سفينة حمولتها 18 طناً خلال 15 يوماً.

وهذا الأمر بقي متواصلاً حتى عصرنا الحالي ويشير قاسم طوير إلى أنه وقبل حوالي 60 عاماً كان المشهد مألوفاً في مدينة دير الزور أن يجري سحب السفن المسطحة بالحبال وهي معبأة بالحطب أو المحاصيل الزراعية.⊗ والجدير ذكره هنا هو أن تكاليف النقل المائي كانت باهظة الثمن وفي معظم الحالات يتم النقل النهري للحمولات الثقيلة في حين أن الحمولات الخفيفة كانت من نصيب النقل البري. وبشكل عام كان اللجوء إلى الملاحة النهرية يتم باتجاه سير التيار لسهولة الحركة ، أما في الاتجاه المعاكس فيتم اللجوء إلى طرق النقل البري.

⊗ انظر الحوليات الأثرية السورية . العدد 34 . آثار حوض الفرات . قاسم طوير.

ويشير جورج دوسان في كتابه / الأرشيفات الاقتصادية لماري / إلى أن السفن في ماري كانت على أنواع منها الصغيرة والكبيرة ، وثمة سفن متخصصة في نقل الخمر أو أحجار الجواريش وكذلك الاسفلت أو الحبوب. ونعتقد أن تنظيم أمور الملاحة النهرية كان يتطلب وجود مؤسسة تعنى بهذا الأمر ، وتشير وثائق الألف الثاني في ماري إلى أن أحد الملاحين وقبل أن يصل إلى مرفأ ايمار كان ينتظره ستون رجلاً لتمهيد الطريق حيث يتجه نحوه الحرس وملاّح خبير بإرشاد السفن ، كما تكون بانتظاره ثلاثون طوافة.

وبالإضافة إلى الفرات لعب نهر الخابور دوراً مهماً في الاتصالات التجارية الشمالية والجنوبية وذكرنا سابقاً أن سلطة ماري كانت قد أنشأت قناة ملاحية / قناة داورين / كانت تربط الخابور بالفرات في المنطقة اليسرى على مستوى البوكمال عند باغوز ، وكان طول هذه القناة 120 كيلومتراً وعرضها 20 متراً ومصبّها 30 متراً.

ويبدو أنه من أجل تأمين هذا الخط التجاري / كونه يؤمن التجارة الشمالية / كان لابد لماري من إخضاع مثلث الخابور لفاعليتها لضمان وتأمين هذا الخط لما يؤمنه أيضاً من احتكاك بين الممالك في سفوح الجبال مع الفرات ومدينة ماري. أما الملاحة في نهر الخابور فالذي يبدو أن سرعة جريان الخابور تفوق سرعة جريان الفرات وهذا ما شكّل عقبة أمام النقل النهري ، ولأجل تجاوز هذه المشكلة عمد الماريون إلى ربط أثقال من الحجر بحيث تحتك بقاع النهر وذلك للحّد من سرعة المراكب المتروكة لتسير نزولاً مع مجرى النهر. في حين أن الملاحة الصاعدة كانت تعتمد حصراً على السفن المقطورة ، بحيث أن هذا يتطلب جهداً لا يستهان به من البشر. ⊗

نستنتج مما سبق أن ماري الألف الثالث امتلكت أدوات التفاعل مع البيئة الطبيعية ، واستطاعت تطويع الفرات والخابور وفقاً لمتطلباتها الملاحية والمائية وعلى هذا نفهم مقولة جان كلود مارجرون من أن " الفرات سمح لسورية أن تشّرع بعملية التمدن ، ذلك أنه يسّر لها التطور من خلال العلاقات التجارية انطلاقاً من البلاد السومرية في الألف الرابع قبل الميلاد ، وهو دائماً وللأسباب ذاتها الذي ضَمِنَ تطور سورية الداخلية في الألف الثالث قبل الميلاد ".[30]

⊗ للمزيد. انظر أندره فينه . الحوليات الأثرية السورية عدد 34 . نهر الخابور عبر وثائق مدينة ماري. وكذلك دراسة الدكتور علي أبو عساف " إيمار وحوض الفرات الأوسط بين مملكتي إبلا وماري " 1991. وهي غير منشورة.

الهوامش

١- مرجع سابق.

EXPOSITION SYRO – EUROPE'ENNE D'AERCHE'OLOGIE MARI- MARGUERON

٢- د. فيصل عبد الله . قراءة في خمسة مجلدات عن ماري . دراسات تاريخية . 38 . 37 .

٣-وثائق الآثار السورية . مارجرون " الفرات الأوسط في عصر البرونز " وزارة الثقافة السورية 2002.

٤-المرجع السابق . التغييرات البيئية واستثمار الأراضي ونظم الاستيطان . أوليفية روو.

٥-المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية . I.F.A.P.O 1989. دمشق. جيير . ج. إ. مونشابير . لستكشاف وادي الفرات الأوسط.

٦-المرجع السابق . مارجرون . ماري.

٧-د. علي أبو عساف . آثار الممالك القديمة في سورية . وزارة الثقافة السورية 1988 .

8- A. PARROT: MARI; CAPITALE FABULESE. PAYOT . 1974 PARIS

٩-مارك لوبو - طرق الاتصال في بلاد الرافدين العليا في الألف الثالث ق.م . الحوليات الأثرية السورية مجلد 43.

١٠- ألفرد هالدار . العموريين . ت . شوقي شعث . دار الأبجدية . دمشق 1993

١١- مارك لوبو . مصدر سابق.

١٢- د. علي أبو عساف . مصدر سابق.

١٣- د. علي أبو عساف . مصدر سابق.

١٤- ألفرد هالدار . مرجع سابق.

١٥- المرجع السابق.

١٦- د. فيصل عبد الله . مرجع سابق.

١٧- أرنولد توينبي . تاريخ البشرية . 2. نقولا زيادة . دار الأهلية . بيروت 1984 .

١٨- المرجع السابق.

١٩- جورجيو بوتشيلاتي ترقا . كتاب أضواء جديدة على تاريخ آثار بلاد الشام . مطبعة عكرمة 1989 . ت . قاسم طوير . دمشق

٢٠- الفونسو آركي . من دراسة د. علي أبو عساف . إبلا ماري قطبان في دورة حضارية واحدة . مجلة البناء اللبنانية العدد 732 1990/4/21

٢١- علي أبو عساف . فنون الممالك القديمة في سورية . دار شمأل . دمشق 1993.

٢٢- جان كلود مارجرون . وثائق الآثار السورية . مرجع سابق.

٢٣- مرجع سابق .

EAN MARGUERON; EXPOSITION SYRO – EUROPE'ENE

٢٤- علي أبو عساف . طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم . دراسات تاريخية 39 . 40 . 1991 . دمشق

٢٥- هورست كلينغل [تاريخ سورية السياسي] 3000 . 300 ق.م ت . سيف الدين دياب . دار المتنبي . دمشق 1998.

٢٦- عيد مرعي . إبلا . دار الأبجدية . دمشق . ١٩٩٦.

٢٧- هورست كلينغل . الفرات الأوسط والتجارة الدولية خلال العهد البابلي القديم . الحوليات الأثرية السورية 34 .

٢٨- هورست كلينغل . " التجارة في بلدان المشرق القديم والتفاعل مع جزيرة كريت في الألف الثالث ق.م . أضواء جديدة في تاريخ وآثار بلاد الشام . مرجع سابق.

٢٩- محمد حرب فرزات . العلاقات الحضارية بين بلاد الخليج العربي وشبه القارة الهندية حتى الألف الأول قبل الميلاد . دراسات تاريخية . العدد 37 . 38 . 1990 دمشق . جامعة دمشق.

٣٠- مصدر سابق.

JEAN MARGUERON